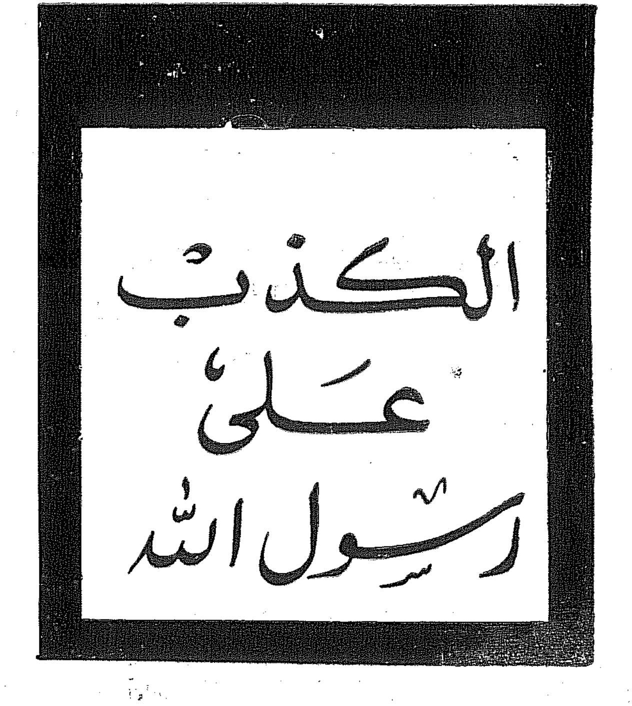


الكذب على رسول الله أو الحديث الموضوع

للشيخ : محمد عبد الظاهر خليفة

المفتش بالازهر الشريف

لا نرى أكبر جرما ممن يتطاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب والاختلاق عليه ، بعد الكذب والافتراء على الله عز وجل .

وكفى هذا المتطاول ذما ان يقال له : « دجال ، وكذاب ، وأفاك » وكفاه أيضا أن أعد الله له عذابا أليما فى نار جهنم ، كما أخبرنا الصادق الأمين بقوله :

« من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »

ولقد أساء الى الاسلام فى عصوره الغابرة ، وعهوده السابقة ، أقوام أفاكون كمحمد بن سعيد المصلوب بالشام ، وابراهيم بن أبى يحيى الاسلمى بالمدينة ، والواقدى ببغداد ، ومقاتل بن سليمان بخراسان ، والكلبى بالكوفة ، ومحمد بن زياد اليشكرى ، وغيرهم .

حيث اختلقوا من عند أنفسهم أحاديث نسبوها الى النبى صلى الله عليه وسلم اتباعا للهوى وحبا فى التقرب من الرؤساء وقد كذب بعض هؤلاء الوضاعين تشويها لصحيفة الاسلام النقية الطاهرة ، كما فعل الزنادقة الذين دسوا على دين الله القويم ، والذين أدخلوا على السنة المطهرة الآلاف المؤلفة من

الاحاديث المصنوعة المكذوبة فقد قيل أنهم وضعوا أربعة عشر الف حديث يريدون بها أفساد الدين وتشويه محاسن الاسلام لما وقر فى نفوسهم من الحقد على الاسلام وأهله .

ومما وضعوه : ما روى عن حميد عن أنس بن مالك مرفوعا . « أنا خاتم النبيين لا نبى بعدى ــ الا أن يشاء الله ــ » فقد وضع محمد بن سعيد بن حسان الأسدى المصلوب قوله فى الحديث ــ الا أن يشاء الله ــ لما كان يدعو اليه من الالحاد والزندقة ، فقدقتله أبو جعفر المنصور ثم صلبه بسبب الزندقة .

وكذب بعضهم لفرط العصبية والانتصار للمذاهب كما فعل الشيعة ، والخوارج ، والكرامية(١) ، والخطابية(٢) والسالمية(٣) .

كما كذب آخرون بقصد الاغراب ، وقصد الاشتهار ، أو غلبة الجهل كبعض المتعبدين الذين وضعوا أحاديث فى فضائل السور ليرغبوا الناس فى الاشتغال بالقرآن ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، أو قصد التكسب والارتزاق ، والتقرب للعامة بغرائب الروايات .

روى ابن الجوزى أن أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين صليا فى مسجد الرصافة فقام قاص فى هذا المسجد فقال :

حدثنا أحمد بن حنبل ، ويحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا اله الا الله خلق من كل كلمة طيرا ، منقاره من ذهب وريشه من مرجان ، وأخذ فى قصته نحوا من عشرين ورقة .

فلما فرغ من القصة ، وأخذ يجمع الهبات والعطيات عارضه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قائلين له : « لم نقل هذا ، ولم نسمع به قط فى حديث رسول الله فقال :

لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ، ما تحققت هذا الا الساعة ، فوضع الامام أحمد كمه على وجهه وقال ليحيى : دعه يقوم ، فقام كالمستهزىء بهما .

وقديما أكثر القصاص من الاحاديث الموضوعية التى ليس لها أصل ، وكان ثقاة المحدثين يتعرضون لتكذيبها فيتعرضون لسخط العامة ، والايقاع بهم .

---

(١) الكرامية ــ (بتشديد الراء مع فتح الكاف) قوم ينسبون لمحمد بن عبد الله بن كرام .

(٢) الخطابية ــ (بفتح الخاء وتشديد الطاء) فرقة تنسب لابى الخطاب الاسدى كان يقول : بأن الله حل فى أناس من أهل البيت على التعاقب ، ثم ادعى الألوهية ثم قتل وجاء أتباعه من بعده وقالوا : أبو الخطاب نبى ، وفرضوا طاعته بل زادو على ذلك فقالوا : الأئمة أنبياء ، والحسن والحسين ابنا الله ، وجعفر الصادق اله ، ولكن أبو الخطاب أفضل منه .

(٣) السالمية : فرقة تنسب للحسن بن محمد بن احمد بن سالم السالمى .

فابن الجوزى فى كتابه (القصاص والمذكرون) يذكر ان الشعبى فى أيام عبد الملك بن مروان نزل تدمر(٤) فسمع شيخا عظيم اللحية يقول :

« ان الله خلق صورين فى كل صور نفختان نفخة الصعق ، ونفخة القيامة » .

قال الشعبى : فرددت عليه وقلت « ان الله لم يخلق الا صورا واحدا ، وانما هى نفختان فقال لى : يا فاجر انما يحدثنى فلان عن فلان ، وترد على ، ثم رفع نعله وضربنى بها ، وتتابع القوم على ضربا فما أقلعوا حتى قلت لهم : ان الله خلق ثلاثين صورا .!!

قال ابن الجوزى فى كتابه « الموضوعات » معظم البلاء فى وضع الحديث من القصاص !

لأنهم يريدون أحاديث ترقق ، وتنفق ، والصحاح تقل فى هذا .

ولو توخينا الموضوعات وهى الأحاديث المكذوبة على رسول الله وخاتم الأنبياء لوجدنا فيها من الأباطيل والاكاذيب والترهات ، ما تقشعر منه الابدان ، وتتقزز من أجله النفوس ! اذ فيها ما يتنافى مع سماحة الدين ، ويتصادم مع نصوصه .

ولولا أن قيض الله للحديث من أعلام الرجال من يقوم بتطهيره من أدران هؤلاء الدجالين الآثمين لطغت أباطيلهم على جماله الرائع ، ومحاسنه الجميلة .

فجزاهم الله أحسن الجزاء تلقاء ما قاموا به من الجرح والتعديل ، ونقد الحديث ورواته وبيان الصحيح منه والمصنوع ، والحسن منه والضعيف ، والمقبول منه والمردود حتى ألفوا فى هذا الغرض الموسوعات الضخمة ، والاسفار الثقيلة التى تنوء بالعصبة أولى القوة فمن ذلك الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ، وكتب الذهبى وهى فريدة فى بابها ، وكتاب الكامل لابن عدى فى الضعفاء ، وكتب الميزان للحافظ العسقلانى ، وكتاب العلل للامام أحمد بن الخلال والعلل المتناهية لابن الجوزى ، واللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطى وغيرها مما لا يمكن استقصاؤه ولا الاحاطة به .

علامات للوضع

ولقد وضع هؤلاء للحديث الموضوع علامات وقرائن يعرف بها ، كأن تظهر عليه مسحة الاختلاق ، وتشم منه رائحة الوضع ، وذلك بأن تأباه العقول السليمة ، وتنفر القلوب الصحيحة .

قال ابن الجوزى :

« ان الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينكسر منه قلبه فى الغالب » .

---

(٤) قال ياقوت فى معجم البلدان : تدمر مدينة قديمة مشهورة فى برية الشاب بينها وبين حلب خمسة أيام وهى قريبة من حمص ومبانيها من عجائب الابنية كانت موضوعة على العمد الرخام وهى الان قرية صغيرة ، لم يكن فيها الا أكواخ حقيرة ، وسط صحراء مجدبة ، وقد خربت الزلازل آثارها . « فسبحان من يرث الأرض ومن عليها » .

وقال الربيع بن خيثم :

« ان للحديث ضوءا كضوء النهار نعرفه ، وظلمة كظلمة الليل ننكره » .

وطبعى انه لا يعرف هذا الا من له ملكة قوية فى فن الحديث واطلاع واسع ،

ومن أمثلة هذا النوع : قدس العدس على لسان سبعين نبيا آخرهم عيسى بن مريم .

ـ لو أعتقد أحدكم فى حجر لنفعه ـ الأرض على صخرة والصخرة على قرن ثور فاذا حرك الثور قرنه تحركت الصخرة .

ومن القرائن ما يؤخذ من حال الراوى : كما وقع لغياث بن ابراهيم النخعى حيث دخل على الخليفة المهدى (والد هارون الرشيد) فوجده يلعب بالحمام فساق فى الحال اسنادا الى النبى صلى الله عليه وسلم انه قال :

« لا سبق الا فى نصل أو خف ، أو حافر ، أو جناح ، فزاد فى الحديث أو جناح . »

فعرف المهدى أنه كذب لأجله فقال له : أشهد أن قفاك قفا كذاب ، وأمر بذبح الحمام .

ومن علامات الوضع فى الحديث أيضا ، ما يؤخذ من حال المروى :

كأن يكون مناقضا لنص القرآن مثل : ولد الزنا لا يدخل الجنة الى سبعة أبناء » فان هذا الكلام مخالف لصريح قوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

أو مناقضا للسنة المتواترة ، أو الاجماع القطعى ، أو مخالفا للعقل كالحديث الذى وضعه أحد الملاحدة وتفوه فيه بكلام لا يصدر من النبوة ، ونطق سفها فقال مسند للرسول عليه السلام وهو منه براء .

« رأيت ربى بمنى يوم النفر على جمل أورق عليه جبة صوف أمام الناس »

ومثل : « ان سفينة نوح طافت بالبيت سبعا ، وصلت عند المقام ركعتين »

أو يكون الحديث مخالفا لحقائق التاريخ المعروفة عن عصر النبوة مثل :

« دخلت الحمام فرأيت رسول الله جالسا وعليه مئزر »

فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يدخل حماما عاما قط ، ولم تكن الحمامات العامة معروفة فى الحجاز فى عصر النبوة ومثل :

« اتقوا البرد فأنه قتل أخاكم أبا الدرداء »

فالمعروف تاريخيا أن أبا الدرداء « عويمر بن زيد بن قيس الخزرجى الانصارى الصحابى الجليل والفقيه العابد الزاهد) مات بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان سنة ٣٢ هـ .

ومن علامات الوضع فى الحديث أن يكون فيه وعيد شديد على ذنب صغير مثل :

« من ترك العشاء قال له ربه لست ربك فاطلب ربا سواى »

أو يكون فيه وعد عظيم على فعل شىء حقير مثل :

(البقية ص ١١٨)

« من أطعم لقمة بنى الله له فى الجنة الف مدينة فى كل مدينة الف بيت ، فى كل بيت الف حورية وصيفه ، ولقمة فى بطن جائع أفضل من بناء الف جامع .

وانك لتجد كثيرا من هذا القبيل فيما سمى (المجموعة المباركة) التى عكف عليها بسطاء الناس ، وقدسوها كأنها كتاب سماوى أو وحى الهى ، ولا أدل على ما فيها من الافتراء والكذب من حديث استغفار عبد الله بن سلطان . ومثله فى كتاب تنبيه الغافلين ، وكالوصية التى وضعها دساسو المبشرين ونسبوها الى الشيخ أحمد ويزعمون أنه خادم الحجرة الشريفة .

وكبدائع الزهور الذى ملىء بأساطير الاولين وترهات الأقدمين .

ولا تخلو بعض كتب التفسير كالخازن والبيضاوى والكشاف مع جلالة قدر أصحابها من الأحاديث الواهية الموضوعة كحديث الغرانيق وأحاديث فضائل السور التى رويت عن أبى عصمة نوح بن مريم المروزى قاضى مرو فقيل له من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة ، وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال :

انى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى محمد بن اسحاق فوضعت هذا حسبة (أى احتسابا وابتغاء وجه الله)

وكتب الشيخ عبد البر الاجهورى بهامش شرح الالفية ما نصه :

اعلم أن السور التى صحت الأحاديث فى فضلها « الفاتحة والزهروان — البقرة وآل عمران — والأنعام والسبع الطوال مجملا (البقرة الى آخر براءة بعدها الأنفال سورة واحدة) والكهف ، ويس ، والدخان ، والملك ، والزلزلة ، والكافرون ، والنصر ، والاخلاص ، والمعوذتان ، وما عداها لم يصح فيه شىء انتهى سيوطى .

رب قائل يقول : هل تحل رواية الحديث الموضوع (أى المكذوب) للعالم بحاله ؟

والجواب : لا تحل روايته مطلقا سواء أكان فى فضائل الأعمال أم فى الترغيب والترهيب أم فى المواعظ والقصص ، أم فى صفات الله تعالى الا اذا قرن ببيان الوضع لقوله صلى الله عليه وسلم « من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » رواه مسلم .

قيل لابن حجر الهيثمى :

ان خطيبا ينقل الأحاديث من غير أن يعزوها ، هل يجوز له ذلك ؟

فأجاب رحمه الله بما يأتى :

ما ذكره الخطيب فى خطبته من الأحاديث من غير أن يبين رواتها ، أو من ذكرها جائز بشرط أن يكون من أهل المعرفة فى الحديث ، أو ينقلها من كتاب مؤلفه كذلك .

وأما الاعتماد فى رواية الأحاديث على مجرد رؤيتها فى كتاب ليس مؤلفه كذلك فلا يجوز ، ومن فعله عزر .

نسأل الله تعالى أن يجنبنا الزلل ، ويعصمنا من الوقوع فى الخطأ والخطل ، وأن يهيىء لنا من أمرنا رشدا .

★ ★ ★